المحاضرة الثامنة مصطلح الجزالة

تعريف الجزالة

أ- لغة: الجزل الحطب اليابس، أو الغليظ العظيم منه.والكثير من الشيء كالجزيل منه، والكريم المعطاء، والعاقل الأصيل الرأي، وهي جزلة وجزلاء ، وجزل خلاف الركيك من الألفاظ" [1].

والجزالة اسم

وجزالة مصدر جَزَلَ

لُغَتُهُ فِيهَا جَزَالَةٌ :فَصَاحَةٌ ، بَلاَغَةٌ

جزَالة الألفاظ : متانتها وعذوبتها في الفم ولذاذتُها في السَّمع

جزُلَ يَجزُل ، جَزالةً ، فهو جَزْل وجَزيل

- جَزُلَتْ جُثَّتُهُ : عَظُمَتْ ، غَلُظَتْ
- جَزُلَ الْمَنْطِقُ : فَصُحَ
- جَزُلَ اللَّفْظُ : اِسْتَحْكَمَتْ قُوَّتُهُ
- جَزُلَ الخَطِيبُ : صَارَ ذَا رَأْيٍ جَيِّدٍ مُحْكَمٍ
- جَزُلَ فلانٌ : صار ذا رأي جيّدٍ قويٍّ محكم
- أجزل له العطاء: أوسعه وأكثره

يقول الأخطل:

جَزْلُ العطاء وأقوام إذا سُئلوا يعطون زُراً كما تستوكف الوشلا

جزالة الألفاظ: "هي متانة صياغة النص، مع عذوبة في اللغة، ولذاذة في السمع، وهي العبارات المنسوجة بالمفردات الرصينة على أسلوب كبار البلغاء الذين أجادوا اختيار الكلم بحسب المقام"[2].

---

[1]- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005.ص 986.

[2]- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، ص314.

الجزلة في معاجم اللغة

قال التهانوي في موسوعة (كشاف اصطلاحات الفنون):"الجزلة هي عند البلغاء الإتيان بالكلام الفصيح والتركيب العالي والمعاني البديعة، وأن تكون الكلمات متوافقة، وفي غاية التناسب، بحيث لو أُبدلت كلمة مكان كلمة لذهبت لطافة الجملة، ولا يخفى أن كلام القرآن كله جزيل بليغ"[1].

مصطلح الجزالة في النقد العربي القديم

تحدث النقاد القدامى عن صفات الكلام ، فذكروا الحسن والقبح والعذوبة والجزالة والسهولة والرصانة والسلاسة والنصاعة، والرونق والطلاوة، وأعطوا الألفاظ أهمية كبيرة، لأن الشأن ليس في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في تخير اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه.

وقد عقد ابن سنان الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة) فصولا تحث فيها عن صفات الحروف ومخارجها وفصاحة اللفظة المفردة والألفاظ المؤلفة.ومن المصطلحات التي تداولها النقد القديم ووردت في عدة مؤلفاتك مصطلح الجزالة:

قال ثعلب: "فأما جزالة اللفظ فما لم يكن بالمُغرب البدوي ولا السفساف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مراده وتُوُهِمَ إمكانه"[2].

وقد ترددت لفظة الجزالة عند ابن سلام ولم يعرفها في حديثه عن شعر النابغة:"كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف"[3]. ووضع الجاحظ الجزل مقابل السخيف أي أنهما متضادان[4] وربط بين الجزل والفخم.و ليست الجزالة عند المبرد الغرابة[5].

---

[1]– التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1 (أ–ش)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ص 558.

[2]– ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحي)، قواعد الشعر، سلسلة التراث العربي، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط2، 1995، ص63.

[3]– ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، قرأه شرحه محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (د،ت)، ص56.

[4] –الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص144. نقلا عن: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص201.

[5] –المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص43. نقلا عن: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص201

ووصف ابن قتيبة النابغة بأنه أجزلهم بيتا[1].

أما عند ابن الأثير (637هـ) في كتابه المثل السائر، فالألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه؛ و جزالة الألفاظ عنده هي: متانتها وعذوبتها في الفم و لذاذتها في السمع. ومواضع استعمالها وصف مواقف الحروب، والتهديد والتخويف وما إلى ذلك.

وفي كتاب الصناعتين ورد مصطلح الجزالة في حديثه عن كلام الله عز وجل:"وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التراكيب، وما شحنه به من الإيجاز البليغ، والاختصار اللطيف؛ وضمنه من الحلاوة وجلله من رونق الطلاوة ، مع هولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها ولاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها"[2].

وقد عقد له فصلا في كتابه بعوان: .....ورد فيه:" وأما الجزل والمختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته، ولا تستعمله في محاوراتها.فمن الجزل الجيد المختار قول مسلم[3]:

وردن رواق الفضل فضل ابن خالد فحط الثنـــاءَ الجزلَ نائله الجزلُ

بكفٍّ أبي العباس يستمطر الغنـــى وتستنزل النعمى ويسترعف النصل

ويستعطفُ الأمـــرُ الأبيُّ بحزمه إذا الأمر لم يعطفْه نقض ولا فتلُ

ومثالها قوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [4] الأنعام 94

---

[1]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص157. نقلا عن: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص201

[2]- أبو هلال العكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي وآحرون، دار الفكر العربي، ط2، 1971، ص7.

[3]- المصدر نفسه، ص 70-71.

[4]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص..

ووردت كلمة)جزل في كتاب طبقات الشعراء لابن سلام في معرض الموازنة بين جرير والفرزدق. إذ يوازن بين بيت جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأدنى العالمين بطون راح

وبيت الأخطل:

شُمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قديوا

فقال: بيت جرير أحلى وأيسر، وبيت الفرزدق أجزل وأرزن.[1]

أما الجاحظ، فيرى أن "كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات. فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا"[2].

ويسوي بين اللفظ والمعنى في قوة التأثير على القلوب سواء أكان هذا التأثير حسنا أو سيئا فيقول: "سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أَمْتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني"[3]

[1] – ينظر:ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص 494.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص144.

[3]– المصدر نفسه، ص145.